سياحة

في طور عبدين

لحضرة القس اسحق ارملة استاذ الدروس في دير مار افرام بماردين (تابع)

٣ من قلّث الى مذيات

في فجر يوم الاربعاء ١٣ ايلول غادرنا قلّث وتوغّلنا في الجبال ورأينا عن بعد آثار اديرة ومناسك مختلفة حتى وصلنا الى (تفه) واهلها مسلمون من المحلّميّة ليس فيها من الآثار ما يُذكر. ثم استأنفنا المسير الى (عين كاف) واهلها كذلك من المحلميّة وهي قريبة من قرية (نونب) والى جنوبيها قرية (حلدح) (١ تحيطها مغاور الزهّاد و(شور آصبح) (٢ التي كان الشمّاس ايليا (٣ ابن الكزير الماردينيّ قد قصدها سنة ١٧٠٧ فخطر على بالنا استحضارهُ لشراب البطيخ قال انهُ كان يحضر بطّيخاً وعسلاً فيشقّ البطيخة ويملأها ملعقتين عسلاً ويدعها في الشمس ثم يعصرها ويستخرج منها مقدار مائة درهم من العرق الحادّ القويّ. وكان اذا حضر اليه احد وطنيّيه وسقاهم منه أخذهم العجب من اختراعه. واقام ابن الكزير في شور اصبح شهرًا كاملًا ثم انتقل الى عين كاف وقالوق حيث ألفى كنيسة فخيمة. وهي من آثار يوحنا مطران ماردين (ت ١١٦٦) وقد ذكرناها ههنا

ثم توجّهنا الى قرية يقال لها دير زبينا (ومعناهُ واحمعل) واسمهُ اسم احد تلامذة مار اوجين. واهالي هذه القرية كلّهم مسلمون من الطائفة المحلّميّة وهم يقرّون حتى يومنا بانهم كانوا نصارى ثم اسلموا. وتفقّدنا جامع القرية وهو كبير وناحيتهُ الجنوبيّة متداعية وكذلك سورهُ الشمالي ويلوح فيه اثر للمذبح في الجهة الشرقية يقصدهُ الناس للزيارة. وعلى بابه بعض النقوش تمثّل صورة ابريق وكفّ ذات ثلاث اصابع. وعلى الباب الثاني نقوش متقطّعة. وفي فنائه قبّة قديمة والى جانب البئر لمحنا حجرة مربّعة

---

١) راجع المشرق (١٥: ٧٠٨) وقد رويت هناك «خلدة» غلطًا

٢) المشرق (١٢: ٦٧١)

٣) ارتسم كاهنًا سنة ١٧١٢ رسمهُ المطران احنوخ في دير الزعفران

مرقومة بحروف كوفيَّة حاولنا ان ننسخها فلم يسمح لنا الشيخ . واعلم ان لهذه القرية سوراً آثارهُ ظاهرة . وشرقيَّ الجامع بناء فخيم جدرانهُ ظاهرة ويلوح انهُ كان ديراً او كنيسة . وبعد هذا ركبنا الى (استل) واهلها مسلمون من المخلَّميَّة ابتنوا فيها جامعاً حديثاً ثم سرنا الى (مذيات) فبلغناها عند الغروب ونزلنا في كنيسة طائفتنا فتحفَّى بنا حضرة القس بطرس حنَّال الافرامي النائب البطريركي وبالغ في اكرامنا

٤ مذيات — بطاركة طور عبدين ومطارينها

مذيات او مديات (ܡܕܝܬ) قصبة طور عبدين موقعها في بطحاء فسيحة تحدق بها الروابي والتلال المزدانة بالكروم والاشجار المثمرة واهلها يشربون مياه الآبار وهي مركز قضاء يحكم فيها قائمقام يراجع متصرّف ماردين ووالي ديار بكر واهلها يبلغون من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ نسمة معظمهم يعاقبة وفيها ثمانون عائلة من البروتستنت وخمسون من الاسلام وثلاثون بيتاً من الكاثليك من سريان وارمن وكلدان . ولنا فيها كنيسة صغيرة شادها الاب يوسف لابورد اليسوعيّ الذي قصد مذيات سنة ١٨٥٠ وسعى سعياً حثيثاً لنشر الايمان الكاثليكي ولقد كانت اتعابهُ اتت بالثمار المخصبة لولا تعصُّب الجليين وجهلهم الفليظ واغراؤهم لمأموري الدولة به فنفوهُ . ولغتهم هي السريانيَّة المكسَّرة والكرديَّة والتركيَّة ايضاً . وكثيراً ما جرت بين الاكراد واليعقوبيَّة فتن ومنازعات ثبَّطتهم عن التيسار في سبيل التقدُّم والعمران روحيًّا وزمنيًّا (١

وكان يسكن مذيات عند زيارتنا اياها غبطة البطريرك عبد المسيح (٢ الذي اعتنق الايمان الكاثليكي بمساعي الخورفسقوس يعقوب الملكي في القدس الشريف

---

١) المشرق (١٥ : ٨٠٦)

٢) سافر من مذيات الى الملبار في غرَّة ايَّار ١٩١٢ ولبث ثلاثة ايَّام بالموصل حاول فيها اليعاقبة المواصلة ان يثبّطوه عن الذهاب فلم يتكنوا . فركب الى بغداد وحلّ كنيستنا وكذلك في البصرة ثم سار الى الملبار ورسم لليعاقبة مغريانًا ومطارنة ثم عاد الى القدس الشريف في اواخر اذار ١٩١٣ وفي نيسان انرّ بالايمان الكاثوليكي كما ذكرنا

في ١٠ نيسان ١٩١٣ ثم قدم الى بيروت واقرّ بالايمان الكاثوليكي في كنيستنا بحضور قبطة البطريرك اغناطيوس افرام الثاني الرحماني في ٣ أيار سنة ١٩١٣

. واعلم ان رئاسة مذيات الروحية كانت منوطة بطرانية دارا ثمّ بفرانيّة تكريت على ما اوردناهُ في المقدّمة . غير انهُ منذ القرن الرابع عشر تبلبل النظام واستفحل الشقاق فقام بطاركة ومطارنة واساقفة لملّة او ابرشيّة او قرية واحدة. واوّل من تولّى رئاسة طور عبدين وثوى مذيات كان سابا ابن القسّ ابي حسن مطران صلح الذي جاء به اساقفة طور عبدين الى ماردين في جمهور من المشايخ والشعب واستمنحوا اسمعيل البطريرك (†١٣٦٦) الصفح عن مخالفتهم وصيّة الصوم فرفضهم البطريرك فعاد نفرٌ منهم الى الجبل ساخطين ورسموا سابا بطريركاً في ٦ آب ١٣٦٤ ورسّموه اغناطيوس وهو اوّل بطاركة طور عبدين . واضطرّت الاحوال قسماً صالحاً منهم الى هجر اليعقوبيّة والدخول في الاسلاميّة كما نوّهنا بهِ في المقدّمة . وبعد وفاة اغناطيوس سابا خلفهُ سنة ١٣٨٩ يشوع المذياتيّ (†١٣٩٦) ثم مسعود (†١٤٢٠) ثم اخوخ العينورديّ مطران قرتمين (†١٤٤٥) ثم قوما الباسبريني مطران قرتمين (†١٤٥٥) ثم يشوع العينورديّ (†١٤٦٦) ثم فيلكسين مطران حاح وهو عزيز بَرْسبتا وتوفي في حصن كيفا سنة ١٤٨٨ وخلفهُ البطريركان شابا ويوحنا وتوفي شابا سنة ١٤٨٩ ويوحنا سنة ١٤٩٣ وتولّى مكانهما مسعود الزازي سنة ١٤٩٥ ولهُ كتاب سرياني في السيرة الروحيّة الرهبانيّة اسمهُ ﻣﺴﻌﻮﺩ وهو الذي رسم سرًّا اثني عشر قسًّا فنقض عليهِ آل طور عبدين وسجنوا بطريركهم في البيعة اربعة ايّام ثم انهزم الى قرية كليبين باردين واوفد الى الجليليين رسالة حرم فيها كل من يرسم بعدهُ بطاركة لطور عبدين. بيد ان حرمهُ لم ينفذ الّا زمناً وجيزاً. على ان الجليليين رسموا غير المذكورين آنفاً منهم اغناطيوس شمعون الحاجي (ﻳﻮﺣﻨﺎ) سنة ١٥٤٩م كما يستفاد من تاريخ كتاب فرض الصوم خاصّة دير مار مرقس باورشليم . ومنهم اغناطيوس يعقوب الذي استوطن دير صلح كما ذكرنا في كلامنا عن فنقيث قاث الصيفيّ المنسوخ سنة ١٥٥٣ ومنهم البطريرك حبيب المذياتيّ الجاهل الكتابة سنة ١٦٧٤ وكان اذ ذاك عبد المسيح الهاويّ (†١٦٨٦) البطريرك الشرعي وفي عهد حبيب ثارت فتنة عمياء في الجبل اضطرّت حبيب على الهرب بزيّ راعٍ الى

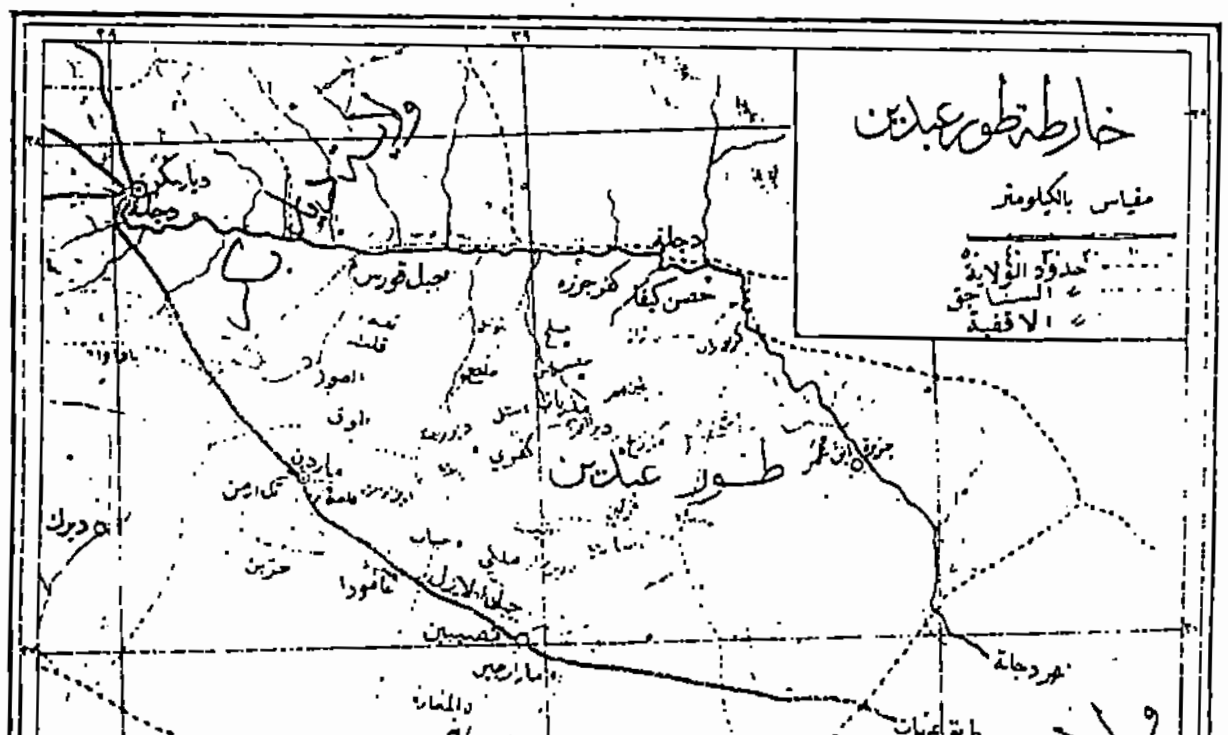
خارطة طور عبدين
مقياس بالكيلومتر
حدود الولاية
الساحق
الاقفية
دجلة
خصن كيفا
كفر جوزه
جبل قورس
الصور
طور عبدين
ماردين
تل ارمن
حزرن
ثاموذا
جبل الاثل
نصيبين
نهر دجلة
طريق غربيات
جبل سنجار
ولاية الموصل
ولاية حلب
متصرفية الـ ١٩

احدى خيم العرب فشعر الجليُّون وبادروا اليهِ واتوا به الى مذيات . ومنهم يوحنا البطريرك الذي رسمهُ متى بطريرك ماردين الدخيل في حياتهِ سنة ١٨١٧ ورفضهُ البطريرك جرجس خليفتهُ في دير الزعفران وناصبهُ فهرب يوحنا الى قرية حباب واستوطن دير مار ايليا خمس سنوات حتى مات († ١٨٢٢) وفي عهد بطريركيته كان في طور عبدين اربعة بطاركة كما قرأنا في تاريخ انجيل كنيسة شمعون الزيتيّ المعروف بابي قرّه بجبناس الفوخ سنة ١٨١١ في عهد البطريرك متى وآحا واشعيا ويوسف . وسنة ١٨٢٥ كان غريغوريوس زيتون المذياتيّ من آل جلما (١ المشهورين بطريركاً لطور عبدين وظلّ هكذا حتى سنة ١٨٣١ فنبذ اليعقوبية وتبع المثلث الرحمة البطريرك انطون سمحيري سنة ١٨٤٦ ومات سنة ١٨٨١م

اما القارين الذين تولوا رئاسة طور عبدين فمنهم باسيليوس شمعون من كفر شامع كما ذكرناهُ في كلامنا عن فنقيث قلّث سنة ١٥٥٣ واشهرهم القريان غريغوريوس شمعون اصلهُ من قرية باتهِ وتطرن على اورشليم ثم سيم مقريانًا لطور عبدين سنة ١٧٨٦ في عهد البطريرك ميخائيل جروه († ١٨٠٠) ولهُ بعض التصانيف ذكر منها الاب ل . شيخو اليسوعي (في مجلة المشرق ٩ : ٦٥٠ و ٦٥١ تحت عدد ١١٢) كتابين الاوّل لمار غريغوريوس شمعون القريان الطوراني في التريصاجيون على المذهب اليعقوبيّ والثاني لباسيليوس شمعون القاتوليق اي القريان وهو عين القريان المؤلف مقالة التريصاجيون وهذا الكتاب الثاني يتضمّن شرح الصلاة الربيّة . وذكر ايضاً الاب ل . شيخو تحت عدد ١١٣ كتاباً آخر يتضمّن اربع مقالات للاب الفاضل القريان شمعون ولهُ كتاب لاهوت مختصر اسمهُ (الحمل) منهُ نسخ شتى ولهُ خطب على مدار السنة منهُ نسخة في دير الزعفران . فهذه الكتب كلها هي تأليف القريان شمعون الطورانيّ الذي ذكرناهُ . ومنها نسخ شتى في دير ماردين ذُكر فيها اسمهُ صريحاً . ولهُ ايضاً ميامر سريانيّة وكرديّة في التوبة ومقالة في شرح القدّاس على المذهب اليعقوبيّ . اما تسميتهُ تارة غريغوريوس وطوراً باسيليوس فسببهُ انّ

---

١) من آل جلما تتفرّع عائلة كَدّا او ابنو الماردينيّة اصلهم من مذيات فهجروها واستوطنوا ماردين وكانوا في مقدّمة الذين تبعوا البطريرك انطون سمحيري في الايمان الكاثوليكي

صاحب كرسي اورشليم يسمّى غريغوريوس وصاحب كرسي الفريان يسمّى باسيليوس عند اليعاقبة

كنيسة فيلكسين او اخسنايا

تعهّدنا في مذيات بيعة كبيرة متهدّمة منسوبة لفيلكسين الغريب (احصصما) مطران منبج († ٥٢٣) الشهير بتعصّبه للمنوفستيّة . وآثارها ظاهرة وسوقها الواحد معقود بالاجرّ ورواق المذبح معقود بحجارة ضخمة . ولها بابان وفي جنوبيها مقبرة يليها بيت آخر فيه ضريح حبيب البطريرك المشار اليه . وفي الناحية الثانية ضريح آخر يزعم المذياتيّون ان فيه هسامة اخسنايا ولكنّهم متوهّمون . على ان اخسنايا وُلد في تحل بباجرماي ثم ظعن ابواه الى باسبرينا ولمّا شبّ وترعرع سار الى دير قرتين وانقطع الى الدرس فبرع في السريانيّة واليونانيّة ثم سار الى الرها وتلمذ بانطاكية فاتقن اللغات والمعارف وغدا نابغة زمانه وفسّر العتيقة والحديثة من اليونانيّة الى السريانيّة (١ كما ذكر يعقوب الرهاويّ († ٧١٨) ثم رسمهُ بطرس القصّار بطريرك انطاكية سنة ٤٨٥ مطراناً لمنبج . فاشتغل بالتصانيف حتى بلغت تآليفهُ مائة وسبعين مجلّداً . وهو الذي رسم سويرا بطريركاً لانطاكية في مدينة صور سنة ٥١٢ وزُجّ في السجن خمس سنوات لشدّة تعصّبه للمنوفستيّن ثم سيق الى غنغرا حيث خُنق في اتون الحمام في ١٠ كانون الاوّل ٥٢٣ . فحمل جثّتهُ ابن اخته الى منبج وجعلها في ضريح رخام . ولمّا خربت منبج بعد ذلك بقليل (٢ نهض نفر من ذوي اخسنايا وحملوا هامتهُ الى طور عبدين وشادوا عليها كنيسة في مذيات سمّوها كنيسة اخسنايا الى اليوم . وسنة ١١٤٥ دوّخ الاكراد طور عبدين ومذيات واخذوا الصندوق والقوا هامة اخسنايا في الازقّة فحملها مطران مذيات ووضعها في هيكل دير مار ابرهيم (٣

---

١) روبنس دوتّال (ص ٦٤ و٦٥)

٢) كان خراب منبج اخيراً على ما ذكر ابو الفداء سنة ٧٤٤هـ (١٣٤٣ م) في منتصف شعبان على اثر زلزلة عظيمة اقلّت سكانها وازالت عماشها فقال :

منبج اهلها حكَوا دودَ قزٍ عندهم نجمل البيوت قبورَا

٣) نقلنا هذه الرواية عن نسخة سريانيّة نُسخت في القرن الرابع عشر

وتعهّدنا في مذيات ايضاً بيعة العذراء مريم الحديثة البناء وبيعة برصوما الجديدة وقد انتهى بناؤها سنة ١٩١٠ وزرنا دير مار شربيل (١ وبناؤه حديث ايضاً يقطنهُ ثلاثة رهبان وكنيستهِ مبنيَّة في عهد البطريرك بطرس (†١٨٩٤)

ثم تقدَّمنا بيعة الشهيدة شموني وهي صغيرة لكنَّها الاولى عند الذياتيين وهي كنيسة الرعيَّة . واليها على ما قيل نُقلت كتب اديار طور عبدين كلها لئلَّا تأخذها يد الضياع . كنَّا نعلم نحن بالكتب القديمة الموجودة فيها ككتاب تعليم الرسل (ومعهدل) وغيره . فبالغنا في الالحاح والتمسنا ان يُرونا المكتبة فأخفق أملنا غير اننا لمحنا في الكوَّة كتاباً فمددنا اليه فاذا هو كتاب الهدايا لابن العبري منسوخ في ١٩ آب سنة ١٣٣٥ م فعثرنا في آخرهِ على قوانين لابن الصليبي يليها القانون السادس من قوانين الرسل لاحد علماء الاقباط في البطاركة والاساقفة وامتيازاتهم وتقدُّم الحبر الروماني عليهم قاطبةً فاخذنا القلم لننسخ ذلك القانون فأبى الرئيس سامحهُ الله . فخرجنا منكسرين خائبين بالرغم عن تلطفنا في الالحاح . غير اننا بعد شهور وسَّطنا حضرة الاب المفضال القسّ بطرس حمَّال في الامر فاستكتبهُ وارسلهُ الينا واليك نصّه :

ممدل محمدل مع مقدا ومحسنا مبتما . دمدل وابس
مع محسنا ايمدهتا ماوسب معحسا . معهلا فهنتحو ماقصحقدا
ددوسمادمدي . . قمدة محسنا مع ماحقا ماوسب مة وفهنتحو
اوحدا ددمدي حدلحدا ابب اوحد قسنا ماوحدا اهمهقحا . .
ممدمدا موسا وحدمدي مة وزمدمدب ددمدا . معلمهدد مة
حدمدي . معهلا وحدا دموسا معحدا معحسا وفهنتحص مزمحقدا
ومحسمقا تحمحب . . . ممة وماوم فهنتحدا وحدحصبوا . . معدد
مة واحدا فهنتحدا . . وممسمهدهسمقحص . . ممة واوحدا
فهنتحدا ومدمعدا ابمهمحدا وممموا . .

(وترجمتهُ) « القانون السادس من قوانين الرسل جمع احد علماء القبط الارثذكسيين (يريد اليعاقبة) في البطاركة والاساقفة وكراسيهم . . أمرَ الرسل القدّيسون والاباء الارثذكسيّون ان يكون البطاركة اربعة طبقاً لعدد الاقطار الاربعة والعناصر الاربعة . . واوَّلهم ورئيسهم بطريرك رومية ولهُ الرئاسة على كلّهم لكونه خليفة بطرس رئيس الرسل في الكرسي الروماني السامي الرفيع . . ثانيهم بطريرك الاسكندريَّة . . ومعهُ بطريرك القسطنطينيَّة وهو الثالث . . ورابعهم بطريرك انطاكية سورياً »

---

١) لعلَّهُ شربل الرهاوي الشهيد سنة ١٠٥ راجع سير القدّيسين (يجان ١ : ٩٥)

ثم اننا زرنا في مذبات دير مار ابرهيم معلّم يرصوما ولهُ عيد يحتفل بهِ اليعاقبة في ١٨ نيسان (١ ويسمّى اليوم دير ابرهيم الكشكريّ وهابيل . وبناؤه قديم يظهر انهُ من آثار الرومانيين وقد رُمّم حديثاً . وفي بيعة الدير مقبرة وثلاث غرف صغيرة وعلى بابها كتابة سطر نجيليّة اليك نصّها :

ܐܢܐ ܐܠܝܐ ܐܠܦܢ ... ܐܢܐ ܐܒܢܝܢ ܡܢ ܐܒ..
ܐܒܢ ܡܢ ܐܫܬ ܐܒܢ ܐܒܢ ܐܒ [٥]

« ايليا الملفان الحقير ابن .. انا الشمّاس صلّوا على .. سنة ٩٧٦ (٦٦٥ م) . وقد جدّد الدير سنة الف وسبعمائة [واربع] (ويجوز ان تُقرأ) الف [واربع] وسبعين يونانيّة (اي سنة (٧٦٣ م او ١٣٩٣ م) »

وفي الكنيسة مذبح للعذراء مريم ومصلّيان منفردان احدهما لمار ابرهيم والآخر لمار هابيل . وعندهم حلّة كهنوتيّة قديمة تكاد تبلى يُظنّ انّها من الملبار من عمل الهنود يتشحون بها مرّة في العام . وقد زانتها صور لطيفة تمثل هيئة خراف ونعاج وجمال وضروب الحيوانات يُظنّ ان احداها تمثل رَفْقة راكبة احد الجمال مزفوفة الى اسحق ولعازرُ ماشٍ امامها

وفي الدير كتاب ضخم يستحقّ الاعتبار وهو بيتكاز يتضمّن الصلوات والطقسيّات على مدار السنة وفصول الاناجيل حسب النصّ الحرقليّ من خميس الآلام الى القيامة . تكرّم بهِ علينا احد الرهبان الاربعة القاطنين في الدير فطالعناهُ بلذّة شاكرين للراهب لطفهُ . وألفينا فيهِ فوائد شتى منها انّ كاتبهُ يورد الاختلاف الطقسيّ الذي كان في عهده في الرها وماردين . وقال في رتبة غسل الاقدام مساء خميس الفصح ان احد البطاركة ادخل العادة بان يمسح القدم بالزّيت بعد الغسل . وهي عادة جارية حتى يومنا في بيعتنا الكاتدرائيّة بماردين خلافاً لسائر الابرشيّات . وفي هذا الكتاب ايضاً حسّايات شتى على مدار السنة ونوافير وكلندار السنة . ورسامة الرهبان والراهبات وطقوس العماد والاكليل الخ

وجاء في آخر النوافير ما تعريبهُ :

---

١) كلندار الاب بتروس (ص ١٨٠)

« نُسخ البيتكاز على نسخة الربّان صليبا من دخيرون (١ وقد قال رحمهُ الله في نسختهِ انهُ نقلها عن نسخة ميخائيل الكبير البطريرك († ١٢٠٠) »

ورجّح ان صليبا هذا هو الربّان صليبا الحاجي ١٣٣١ الذي نشر كلنداره الاب بترس اليسوعيّ البولندي سنة ١٩٠٨ في بروكسل

وورد فيهِ بعد قرآآت اسبوع الآلام ما تعريبهُ :

« انتهت قرآآت آلام الرب الخلاصي .. جمعها باعتناء جزيل الربّان دانيال العلّامة الباتني [نسبة الى بيت باتين قريةٍ في حرّان بالرها] واسحق تلميذهُ النشيط »

وورد في آخر البيتكاز بخطّ مختلف عن خطّ البيتكاز مامعناهُ :

« انا ديوسترس شمون العينوردي .طران الجزيرة وهبتُ هذا كتاب البيتكاز ليوحنا ابن شوشان العينوردي . كتبتُ هذا بخط يدي سنة ١٤٨٤ لليونان (١٧٩٥ م) في ١٧ تشرين الاوّل »

ثم جاء ما نصُّهُ بخط الكاتب نفسهِ :

اسدمو حمصه ازحدا حاد وحوزا حصه هك ممحدلا ممحمو ملمه وحمتا حابت ممحمو وسنا

« انتهى الكتاب في رابع آب الجاري سنة ١٧٧٩ لليونان (١٤٦٨م) كتبهُ الراهب شمون »

فمن ذلك كلّه يتضح ان بيتكاز دير الشرفة المعروف ببيتكاز الشيخ المنسوخ في القرن الثاني عشر اقدمُ من هذا لكن هذا اغنى واحفل بالفوائد منهُ

٥ سفرنا من مذبات الى باتيه

ويوم الخميس ١٤ ايلول قصدنا قرية باتيه فصبّحنا في قرية حيساس وألفينا فيها كنيسة قديمة تُنسب الى شمعون الزيتيّ المعروف بابي قرّة . وقد ورد ذكرهُ في تاريخ الزهاويّ الذي نشرهُ غبطة بطريركنا (ف ٢١١ ص ٢٣٧) وما جرى لهُ من المجادلة الدينيّة مع الخليفة المأمون (٨١٣–٨٣٣) في حرّان اذ كان مطرانها وسمّي تاودرس استقف حرّان أبا قرّه . وورد ذكره في كلنداره الاب بترس اليسوعي في ٣ حزيران وفي ٣ كانون الثاني ممحمو وامدا امصمصدا وسنو (٢ . وقد عثرنا في

---

١) في الاصل ووصفه ولعلها اسم علم او تكون تصحيفاً

٢) في هذا القول نظر . وعندنا انهُ لا بدَّ من التمييز بين رجلين تلقّبا بابي قرّة ولعل

ماردين على نسخةٍ من مجادلته اليك عنوانها: « مجادلة ابي قرّة اسمهُ مار شمعون من حبسناس اسقف حرّان مع المأمون بن هرون الرشيد ». وجاء في اخرها: « كملت مجادلة مار شمعون مطران حرّان ونصيبين والخابور من قرية حبسناس »

امّا الكنيسة فهي على طرز كنائس طور عبدين الراقية الى القرن السابع وما بعدهُ ولها بابان احدهما شمالي اذا دخلهُ الداخل امتدّ الى يمينهِ وشمالهِ رواق يتضمّن سوق الكنيسة الاوّل حيث كان يقف الموعوظون في قرون الكنيسة الاولى. وعلى يمين الداخل بابٌ آخر يتّصل بمصلّى مـار ثاودوطا . وفي السوق الثاني بابان كبيران يفضيان الى سوق البيعة الثالث حيث قدسُ الاقداس يعلوه رواق شاهق في حجارتهِ نقوش بديعة تستلفت الانظار . وعلى وسعها وفساحتها تراها عاليةً الّا انّها خالية من الزينة البيعيّة بالكليّة . وممّا استقبحناه فيها صورتان منقوش فيهما تمثال صبيّ على شاكلة علب الحلويات وهما موضوعتـان على جداري البيعة . وخارج البيعة رواق خصّ للصلاة الفرضيّة في فصل الصيف . على ان من عوائد الطوائف الشرقيّة اقامة الصلوات خارج البيعة من العنصرة الى تشرين وقلّما تخلو كنيسة من كنائس طور عبدين من مصلّى كهذا.

وقرأنا في انجيل الكنيسة التالي بالسريانيّة ما تعريبهُ :

« نُسخ الانجيل لكنيسة مار شمعون الربيّ بقرية حبسناس جمعهُ الشيخ جلّو بن ميرزا . يد قس مذياني من آل غريغو . في عهد الآباء . متى بطريرك انطاكية . والبطريرك آحا والبطريرك اشيا . والبطريرك يوسف . بشاركة طور عبدين في ٢٦ تشرين الثاني سنة ٢١٢٥ يونانيّة (١٨١٤ م) »

وفي حبسناس دير للعازر الحرّاني يعيّد له البعاقبة في ٤ أيار (صحيح الحساب ومحصصندص) كما ورد في كالندار الاب بترس اليسوعيّ . فتمهّدنا وألفينا على بابه حجرًا مكتوباً بالسطرنجيليّة تعريبها: « بُنيت هذه القلّاية باعتناء الربّان يوسف » ليس فيها تاريخ . وفي فناء الدير صومعة مشيّدة بحجار ضخمة على احدهـا مكتوب بالسطرنجيليّة كتابة حديثة لم يتيسّر لنا قراءتها

كليهما كان ايضاً اسقفاً على حرّان الواحد بعقوبي هو شمعون الربيّ المذكور هنا صاحب المجادلة التي جرت امام المأمون والآخر ملكي وهو تـاوذورس ابو قرّه صاحب التآليف اللاهوتيّة الشهيرة التي نشرها حضرة الاب ق . الباشا ونشرنا غيرها في المشرق ل . ش

امّا كنيسة الدير فهي صغيرة واطئة والظاهر انها ليست قديمة العهد وعثرنا فيها على كتاب حسّايات تاريخهُ في اخره يقول كاتبهُ في السريانيّة انهُ انتهى من نسخهِ « في دير مار لعازر ومار لسيا ومار فولا المصري تجاه جبسناس سنة ٢١٨٣ (١٨٧٢م) »

وشاهدنا ايضاً كتاب نوافير من جملتها نافور ديوسقوروس . واغناطيوس . وبطرس بطريرك انطاكية . وفي هامش النافور عن بطرس هذا قولهُ : « بطرس البطريرك الذي كان ينير قناديل بيعتهِ من نور اصابعه . واشتهر سنة ٩٠٢ (٥٩١ م) » وهو بطرس الثالث القلشيّ (الرقي) بطريرك اليعاقبة (٥٧١—٥٨١ م)

وفيهِ ايضاً نافور ماروثا التكريتيّ مفريان اليعاقبة († ٦٤٩) جاء في هامشه انهُ « ارتسم مفريانا للمشرق سنة ٥٢٩ [sic] (٨٤٠ م) وهو الذي صنّف ورتّب صوم نينوى في المشرق وفي كل مكان (١ »

وفيهِ ايضاً نافور للبطريرك ابن وهيب (†١٣٣٣) الفهُ في دير الزعفران . وفيهِ نافور آخر لساويرا اسقف سميساط رئيس دير افتونيا بقنّسرين . . جاء في ختامهِ ما معرّبهُ :

(استخرجهُ من اليونانيّة الى السريانيّة ابراهيم الآمدي سنة ٩٠٩ (٥٩٨ م) وتوفي ساويرا سنة ٩٣٦ (٦٢٥ م) وهو اثناسيوس [الجبّال ٥٩٥—٦٣١] الذي رسم مار جبرائيل اسقفاً »

يريد بهِ جبرائيل رئيس دير قرتمين وسيأتي ذكرهُ في كلامنا عن دير العمر . وفي جبسناس نحو خمس عشرة عائلة من المسلمين والباقي هم يعاقبة

وشمالي جبسناس قرية (بشرش) فيها بيعة آثارها باقية منسوبة ليوحنا المعمدان وليس فيها بيوت للسكنى

وغادرنا بشرش الى (صلّح) فمررنا بعمود شاهق تسنّمهِ العامّة « قامه » وهي صومعة ناودوطا وليس فيها كتابة . وغدرة النهار بلغنا دير مار يعقوب الحبيس

١) ورد في كتاب النفّة لبشوع دناح (عدد ٩٣ ص ٤٩٣ من طبع الاب يوحنان) ان سبر يشوع مطران باجرماي لمّا حصل طاعون في ابرشيّتهِ سنة ٥٦٧ م اقام الباعوث فزال الطاعون . وجاء في هذه المجلّة [المشرق ٩ : ١٧١] ما يؤيد ذلك . ولعلّ ماروثا مفريان تكريت اتّخذ تلك العادة من النساطرة مجاورتهِ . ومن ثمّ فليس هو الواضع الاوّل لهذا الصوم لان سبر يشوع كان قبلهُ بنيّف وستين سنة . راجع المشرق في المحل المرقوم تقف على فوائد شتى تنوط بصوم نينوى

وهي من اقدم قرى الجبل واعمها واعظمها في صلاح والعامة يسكنونها صالح بالاف. اما الدير ففي خارج القرية وكنيسته من ابدع الكنائس وافخمها واعلاها واقدمها والنقوش الثائثة تحيط جدرانها الخارجة . ولها مصلّى صيفي كالعادة فيه ثلاثة اعمدة الاثنان للصلاة الفرضيّة والثالث للانجيل الكريم . وتعلو باب الكنيسة الخارجي هيئة شمس ذهبت بها الامطار على كرور الزمان . وفي ناحيتها الجنوبيّة ثلاثة ابواب مسدودة بالحجارة الضخمة . اما داخل الكنيسة فعلى طرز كنائس طور عبدين القديمة وعلى رحبها هي عالية وفي الجدارين اللذين على يمين الداخل وشماله سبعة حجار قبور مرقومة بالسطرنجيليّة اقدمها «[illegible]» اعني « حنانيا اسقف سروج سنة ١٠٠٠ يونانيّة (٦٨٩ م) »

وحجر آخر « [illegible] » انتقل من هذا العالم سنة ١٠٦٥ (٧٥٤ م)

وغيره مكتوب « [illegible] » سنة ١٢٠٦ (٨٩٥ م)

وغيره مكتوب « [illegible] » سنة ١٢٢٣ (٩١٢م) وفي هذا الدير مدفون ايضاً البطريرك اغناطيوس سابا اوّل بطاركة طور عبدين (١٣١٤—١٣٨٩) والمشتهر في صلح دانيال الصلحي مفسّر الزبور وابن سيراخ وسرّ المبرون في القرن السابع (١ ذلك كلّهُ يشير الى قدم الدير . والكنيسة معقودة كباقي الكنائس بالآجرّ الاحمر وباب المذبح قديم فسيح تعلوه النقوش الظريفة . وفي الخورس عمودان حجريان لكتابي صلاة الفرض البيعي . وفي الكنيسة نسخة من الانجيل الطاهر حسب النصّ الحرقلي بديع الكتابة يتضمّن صوراً شتى من جملتها صورة صعود ربّنا الى السماء في جبل الزيتون فترى الرسل وبطرس مقدامهم واقفاً وسطهم مشّحاً بحلّة الكهنوت الى غير ذلك من الصور الظريفة اللّطيفة

وتجاه الكنيسة غرفة مربعة باسم برشابا يسكنهُ بيت القديسين حيث قبور الاقليروس وامام باب الدير ضريح اغناطيوس مرقس بن قيقي الموصلي الذي رسمهُ مفريانا سنة ٩٩١ اثناسيوسُ الصلحي البطريرك ٩٨٧—١٠٠٣م) ويحيط الدير غرف شتى كان يثويها النسّاك والرهبان تنيف على مائة قلّاية

١) راجع كتابنا الزهرة الذكية (ص ٢٨)

وقد عثرنا على انجيل في كنيستنا بديار بكر اليك تاريخهُ معرَّباً عن السريانيَّة :
« انتهى كتاب العهد الجديد سنة ١٧٨٦ (١٤٧٥م) في ٢٨ أيار بدير مار يعقوب الحبيس المصريّ ومار برشابا وتلاميذه الكائن في ناحية صَلَح عاصمة طور عبدين. في مقاطعة حصن كيفا. في عهد البطريركين. . اغناطيوس خلف [١٤٥٥–١٤٨٢] واغناطيوس عزيز [بن العجوز ١٤٦٦–١٤٨٨] ومار باسيليوس المفريان عزيز . . صلّوا على اختي الراهبة ساره وعلى الراهبة مريم العجوز المباركة »

ذلك دليل قاطع على عظم شأن صَلَح ومنزلتها اذ يسميها الكاتب عاصمة طور عبدين . أما مار يعقوب الحبيس مؤسس الدير فهو يعقوب المصري ولهُ عيد في ١٨ ايلول . ومن اخباره انهُ نال اكليل الشهادة مع احد عشر من تلاميذه في عهد ورهران او بهرام ملك الفرس ٤٢٠ — ٤٤٠ م قتلهم شامير قائده (١ . أما برشابا فديرهُ داخل قرية صَلَح وهو دير فخيم كبير وقد ضبطهُ الاسلام . واليوم يسكنهُ شيخ صَلَح المسلم وقد شاد فيه غرفاً جديدة . وفي صَلَح ثمانون بيتاً من المسلمين وثلاثون من اليعاقبة في يومنا

ثم انتهينا الى قرية (باته) وحللنا في كنيستنا الكاثوليكيَّة فنهض الينا مرحّباً بنا حضرة القسّ ابرهيم كَرّوم الافرامي . وطابت نفسنا بما رأيناه في البيعة من الزينة والنظافة وهي على صغرها حافلة بالاثاث البيعيَّة والصور الكريمة وامامها فناء فسيح وغرفتان ومحلٌ للاستقبال . واوّل من فتح الرسالة الكاثوليكيَّة في باته كان القس بطرس صليو الافرامي الذي قصدها سنة ١٨٨٤ وثوى بيتاً حقيراً كان يقيم فيهِ الذبيحة الالهيَّة حتى تموز سنة ١٨٨٩ فباشر بناء هذه البيعة على اسم سيّدة النجاة بهمّة ومساعي البطريرك يوحنا شلحت († ١٨٩١) والمطران اغناطيوس نوري والاب يوسف گالاند الدومنكيّ . وفي ٢٢ تشرين الاوّل ١٨٨٩ اقام فيها القدّاس الاوّل . وقد اتت اتعاب هذا الاب النشيط بالثمار الشهيَّة فاعتنق الايمان الكاثوليكي زهاء عشرين عائلة في باته وغدوا قدوةً صالحة لمن يجاورهم بالتقوى والمثال الحسن

وبعد ان تناولنا طعام الغداء تفقَّدنا بيعة اليعاقبة وهي على اسم ابينا مار افرام السريانيّ . وآثارها قديمة الّا ان بناءها حديث وفيها كتاب حسّايات نُسخ سنة

١) كلندار الاب بتوس (ص ١١٥)

١٨٢٦ في عهد البطريرك برجس اليعقوبي المعروف بالبيار (١٨١٨—١٨٣١) وكان في عهده البطريرك يوحنا الذي قضى في حياب سنة ٨٢٢

وطالعنا في الكنيسة بيتكازاً كبيراً معتبراً نُسخ سنة ١١٨٦ م في ٢ ايار في دير مار قرياقس بجزّه عند كفرزه وجاء في آخره تاريخ منظوم في صفحتين اليك فحواه بتصرّف قليل :

« انتهى نسخ هذا البيتكاز سنة ١٧٩٧ (١٤٨٦م) في ٢ ايار في عهد اغناطيوس عزيز بن سبنا بطريرك طور عبدين. ويوحنا مطران دير قرقين . وقرلس يوحنا مطران مذيات. وديونوسيوس يعقوب المذياتي مطران حاح وباسيليوس مطران الزرجل وارزن وسعرد: ابي وعرّابي. انا القس توما المذياتي مع الاخوة والرهبان والبيّاد الذين يستغرقون المائة . وهم من طور عبدين . وسبعة رهبان من دير المتينية [وهو دير من قضاء ديركه غربي ماردين] وتسعة رهبان ارزنيين. هذه اسماء الرهبان الحاجّين [نسبة الى حاح او هَنّه] والصوفنيين [نسبة الى قرية صوفان ؟]

ثم ذكر الناسخ انه نقلهُ « من نسخ مدقّقة للربّان بهنام ابن القسّ سابا المرحوم المذياتي . وداود الفونيقي أمن بلاد حمص وحماة] » . ولهذا داود ميامر سريانيّة على حروف الهجاء لدينا نسخة منها . جاء في آخرها انهُ الفها سنة ١٧٧٤ لليونان (١٤٦٣ م)

وسرنا بعد الظهر الى قرية (عَرْناس) جنوبي باته وعلى ربوتها كنيسة كبيرة تُنسب الى والدة الله ومار بُسّوس الشهيد وقرياقس ويوليطي امّه الشهيدين وهي تضارع كنيسة حبسناس التي وصفناها سابقاً يعلوها الآجرّ الاحمر وفي فنائها حجر منقّش مما يدل على جهل البنّاء . كُتب فيه بالسريانيّة « شُيّدت كنيسة مار قرياقس اكراماً للثالوث الاقدس » وفيها رواقان للصلاة في الصيف كالعادة . وفيها كتاب صلوات هذا تاريخهُ معرّباً :

« انتهى كتاب الفنقيث الثنويّ في ١٩ حزيران سنة ٢٠١٦ (١٧٠٥م) في عهد دنحا المرنايّ ابن حوشاب بطريرك طور عبدين. نُسخ لسيمة والدة الله ومار بسّوس ومار قرياقس التي في قريتهم في عهد اغناطيوس برجس الوصلي بطريرك ماردين ١٦٨٦ (١٧٠٨ م)

وفيها فنقيث آخر على رقّ بالحروف السطرنجيليّة يتضمّن صلوات السنة كأنما يرتقي تاريخهُ الى القرن الثالث عشر هذا تعريب آخرهُ :

« انتهى نسخ هذا الجزء من التنقيح الثنويّ سنة ١٥٦٦ (١٢٥٥ م) في ٢٨ تشرين الاوّل بدير والدة الله ومار يعقوب ومار ديمط المعروف بدير القرن موقعه في جبل الاثل. كتبه يعقوب ابن القس يوحنا مولده في زبدينا قرية في القلمة الحديثة بنصيبين في عهد رؤساء البيعة الذين تحفّزوا للخصام والمشاحنة. مار يوحنا البطريرك [السابع عشر المعروف بابن المعدني ١٢٥٣–١٢٦٣] ومار ثاودوسيوس البطريرك ومار اثناسيوس (١ وباسيليوس مطران دير قرقين. . اهتمّ الآباء وجعلوا هذه الذخيرة الروحية في كنيسهم المبنيَّة على اسم الشهيد الجليل بسّوس. . وفي هذا الدير سبعة عشر راهباً. اجتهد بصنع ورقه الرقّ رهبان دير قرقين »

وتفقّدنا في جنوبي غربي عرناس ديرًا متهدّماً يُعرف باسم دير مار ديمط (ومحلّه) الجديد وليس فيه احد بتّة . وفي عرناس زهاء ثمانين عائلة يعقوبيَّة وعشرين اسلامية . امّا في باته فعشرون عائلة سريانيـة كاثوليكية وعشر اسلامية ونيّفاً ومائة عائلة يعقوبيَّة (لهُ بقيَّة)

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهليّة

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

الفصل الثاني : الالفاظ النصرانيَّة في لغة عرب الجاهليَّة (تابع)

٥ مفردات نصارى العرب الدالّة على رؤسائهم ورهبانهم (تابع)

وهذه الفاظ أخرى نردفها باسماء الرهبان وردت ايضاً في لغة اهل الجاهلية منها (السائح) بمعنى الراهب المتفرّد في الاقفار ذكرها ابن هشام في سيرته (ص ٢٠)

١) لا ندري من هو ثاودوسيوس واثناسيوس ولعلّ احدهما هو ديونوسيوس [السابع المعروف بنجور ١٢٥٢–١٢٦١] الذي ارتسم ابن المعدني بطريركاً بعده بسنة وثلاثة اشهر تقريباً . فاضحى من ثمّ بطريركان للياقبة كلٌّ يسعى في تأييد البطريركية لهُ . وكلاهما كانا في عهد ابن العبريّ . امّا البطريرك الثالث الذي ذكرهُ مؤرخ كتاب التنقيح باسم اثناسيوس فلا ندري من هو وقد اهمل ابن العبري ذكرهُ . ولعلّهُ كان مروقاً بصفة بطريرك في طور عبدين فقط